

جهود الدكتور أبي بكر العزاوي في الدلالة المعرفية (الاستعارة والفضاء اللغوي)

أ.م.د. حيدر غضبان محسن
جامعة بابل / كلية الآداب
Drhaider13@yahoo.com

باسم عبيد عباس
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة

احتلت اللسانيات المعرفية منزلة كبيرة في الدراسات اللسانية العربية الحديثة في ثمانينيات القرن العشرين، وقد قدم علماء عرب أجلاء في هذا الميدان إسهامات جليلة، وكان من هؤلاء العلماء الدكتور المغربي أبو بكر العزاوي. وتكمن أهمية البحث في أنه يكشف عن جهود أبي بكر العزاوي في وصف نظريات الدلالة المعرفية (الاستعارة والفضاء في اللغة) ونقدها، وبيان النظرية الملائمة -بحسب ما يراه- لتكون مبادؤها إجراءات تحليلية للفضاء في اللغات الطبيعية. وهي جهود أغفلتها الدراسات التي تناولت جهود العزاوي اللسانية مكتفية بالتعريف بتصويراته الحجاجية أو بجانب منها.

وقد تقسم البحث -بحسب مادته- إلى مدخل تعريفي بجهود العزاوي في اللسانيات المعرفية، تلاه مبحثان، تناولنا في الأول منهما جهود العزاوي في الاستعارة المعرفية. وخصصنا الثاني بجهود العزاوي في وصف نظريات الفضاء في اللغة. ثم ختمنا البحث بخاتمة بيّنا فيها أهم نتائج البحث، فقائمة بالمصادر.
الكلمات الدالة: اللسانيات-الدلالة المعرفية- اللسانيات الإدراكية- الفضاء اللغوي- الاستعارة المعرفية.

Abstract

This study deals with cognitive linguistics which has recently gained much interest in the modern Arabic linguistic studies. Many Arab linguists have made significant contributions in this respect; one of them is Dr. Abu Bakr Al-Azzawi whose descriptive and critical efforts are tackled here in relation to cognitive semantics (metaphor and the linguistic domain). Additionally, this study shows his views concerning the proper theory which employs analytical procedures for the domain in the natural languages. These points, which are mostly ignored by the previous studies, are elaborated on and explained in this study.

Keywords: Linguistics, Cognitive semantics, Cognitive linguistics, Linguistics domain, Conceptual metaphor

المدخل: تعريف بجهود العزاوي في اللسانيات المعرفية:

لم تكن صلة العزاوي باللسانيات مقتصرة على نظرية الحجاج اللغوي وتعديلها نظريا وتطبيقا، بل كانت له إسهامات أخرى في اللسانيات المعرفية والتداوليات زيادة على كتاباته في اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية والنهوض بها، لم يتناوله الدارسون بالتحليل والعرض والنقد.

وفي ما يتعلق باللسانيات المعرفية، فتعود علاقة العزاوي بها إلى دراسته على يد أقطابها أمثال فوكونيني، وكلود فاندلواز، وبول كاي، وغيرهم، وكان أقطاب اللسانيات المعرفية من الأمريكان يأتون إلى فرنسا في بداية الثمانينيات

ويدرسون سنة كاملة، أو بضعة أشهر، وكان العزاوي يحضر دروسهم. أما جيل فوكونيبي فهو فرنسي وحضر العزاوي دروسه أربع سنوات كاملة، قبل أن ينتقل إلى أمريكا سنة ١٩٨٨، ويستقر فيها بشكل نهائي^(١).

ويعد العزاوي من المهتمين باللسانيات المعرفية والدلالة المعرفية في العالم العربي، فقد درّس الظروف، والعبارات الفضائية من قبيل (فوق - تحت، أمام - خلف، وراء...) التي لها علاقة بالفضاء، والإدراك، والمعرفة، ووضع الجسم، وقد أنجز في هذا السياق أبحاثاً ومؤلفات، وترجمات في مجال دراسة الفضاء اللغوي والدلالة المعرفية^(٢).

لقد كان للعزاوي في اللسانيات المعرفية جهدٌ كبيرٌ تدريسيًا، وترجمةً، ودراسةً، وله أبحاث في هذا المجال وهي^(٣):

١ - الكليات الاستعارية، بحث منشور في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد: ٢، ١٩٨٧.

تعود علاقة العزاوي باللسانيات المعرفية إلى عام ١٩٨٧ من خلال بحثه الموسوم (الكليات الاستعارية) لماساكوفيلار^(٤)، وقد ذكر العزاوي فيه أنه لم يعد يُنظر إلى الاستعارة في هذا البحث بوصفها صورة بلاغية أو أسلوبية تنتمي إلى مجال البلاغة والتجميل بوجه عام، بل إن المحور الذي انصبّ عليه الاهتمام في ما يتعلق بهذا الشكل التعبيري وهو الدلالة التي تولدها الاستعارة^(٥)، وهذا ما يؤكد رواد اللسانيات المعرفية الذين انتبهوا إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالاتنا اليومية، ويرون أنها لا تقتصر على اللُّغة، بل توجد في تفكيرنا وفي عملنا الذي نقوم به، وإن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس^(٦)، فالاستعارة والمجاز تحتل مكانة مركزية - عند لايفوف - في بناء تجاربنا ومن ثمّ في بناء مفاهيمنا، وتصوراتنا للأشياء، والعالم^(٧).

٢ - الفضاء في اللُّغة مجلة المشكاة، العدد: ٢٥ في ١٩٩٧.

٣ - العنوان والإطار، بحث منشور في مجلة فكر العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٦، ٢٠٠٧.

٤ - اللسانيات المؤسسة على الاستعمال، بحث منشور عام ٢٠١٨.

٥ - لسانيات تشومسكي: دراسة نقدية من منظور اللسانيات المعرفية، بحث منشور ضمن كتاب لسانيات تشومسكي مراجعة نظرية، ٢٠١٩.

٦ - اللغة العربية والدلالة المعرفية: الفضاء في اللغة أنموذجاً. بحث منشور في كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق، تحرير وإشراف: د. حيدر غضبان محسن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٩.

٦ - البلاغة العربية والعلوم الجديدة سؤال القراءة وسؤال التجديد، بحث مقبول للنشر في مجلة فصول ٢٠١٩.

^١ - حوار مع الدكتور العزاوي في شبكة التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) بتاريخ ٨/٥/٢٠١٩.

^٢ - ظ: من المنطق إلى الحجاج: ٨٧.

^٣ - حوار مع الدكتور العزاوي في شبكة التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) في ١٤/٨/٢٠١٩.

^٤ - دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد ٢-١٩٨٧: ١٤٢.

^٥ - ظ: دراسات سيميائية أدبية لسانية: ١٤٢.

^٦ - ظ: الاستعارات التي نحيا بها: ٢١.

^٧ - ظ: نساء، ونار، وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن، جورج لايفوف، ترجمة: د. عفاف موقو، بحث ضمن

كتاب إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية: ٣١٩/١.

٧- الفضاء في اللُّغة بين المقاربة المنطِيقية والمقاربة اللسانية المعرفية (الحرف "في" أنموذجاً) بحث منشور في كتاب المناهج اللسانية والنقدية بين التنظير والإجراء، بحوث مختارة من محور قسم اللغة العربية في المؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية الآداب بجامعة بابل للمدة ١٧- ١٨/٤/٢٠١٩.

٨ - إضافة إلى كتاب اللُّغة والمنطق، وآرائه التي ذكرها في الجوارات التي أجريت معه ونشرت في المجلات والصحف. وهذه البحوث تمثل أفكار الأساتذة في اللسانيات المعرفية الذين تلقى العزّاوي دروسه على أيديهم.

ولا يخفى أنه بذل جهداً كبيراً في اللسانيات المعرفية وتتمثل في مستويات عدة^(١):

أ - التدريس: يتمثل جهد العزّاوي بتدريسه لللسانيات المعرفية منذ بداية التسعينيات، وأهم النظريات التي درّسها العزّاوي^(٢) هي:

١ - نظرية الاستعارة التصويرية التي وضع أسسها (جورج لاكوف)، و(مارك جونسن) في كتابهما: (الاستعارات التي نحيا بها) المنشور سنة (١٩٨٠)، وفي هذا الكتاب ينتقدان وجهة النظر القديمة التي مفادها أن الاستعارة محسن بلاغي وزخرف أسلوبية، ونجدها في الشعر والأدب بشكل خاص. ويرى هذان الباحثان أن نسقنا التصوري في معظمه استعاري وأن اللُّغة الطبيعية كلها استعارية.

٢ - نظرية النموذج الأمثل أو نظرية المقولة المعرفية الطبيعية لصاحبها عالمة النفس المعرفي إيلانور روش (E.Rosch) وهي ترفض المقولة المنطِيقية التي دافع عنها أرسطو والتي تقول بالحدود الصارمة بين المقولات وبتمائل وتساوي عناصر المقولة الواحدة وتدافع عن المقولة الطبيعية أو المقولة المعرفية افتترضت في هذا المجال نظرية النموذج الأمثل.

٣ - نظرية الفضاء في اللُّغة، من خلال النموذج الذي اقترحه اللساني البلجيكي كلود فاندلواز (C.Vandeloase)، الذي ينتقد فيه المقاربات الهندسية والمنطِيقية للفضاء في اللغات الطبيعية، ويقترح بالمقابل مقاربة لسانية معرفية وظيفية تقوم على مفاهيم من قبيل: المتكلم هو مصدر الإحالة، التسرب على الإدراك، خط النظر، علاقة وعاء/محتوى وغيرها من المفاهيم، ويعد المفاهيم الهندسية والمنطِيقية: (المسافة، الاتجاه، البعد،...) ثانوية وهامشية، وقد بيّن العزّاوي هذا في عدد من البحوث والدراسات المنشورة.

٤- نظرية الفضاءات الذهنية لصاحبها اللساني الفرنسي، وأحد أقطاب اللسانيات المعرفية في أمريكا جيل فوكونيه (G.Fauconnie)، الذي درّس العزّاوي عنده أربع سنوات كاملة في فرنسا، وكان يدرسه نظرية الفضاءات الذهنية التي ترى أن الشيء المدهش في اللُّغة ليس فقط هو تنظيمها الظاهر والبارز (صوارة، صرافة، تركيب،...) إن المذهل والمدهش، وربما بشكل أكبر، هو البناءات الذهنية التي ترافقها، أي ترافق عملية إنتاج الكلام.

وهو ينتقد التوجهات البنوية والتوليدية في دراسة اللُّغة، وكذا التوجهات المنطِيقية، وعنه يقترح مقاربة لسانية معرفية وإجرائية لدراسة اللُّغة مقارنة تربط ما هو لغوي بما هو ذهني معرفي، وهو في هذا يلتقي مع أعلام اللسانيات المعرفية (لايكوف، لا نكاير، فيلمور، فاندلواز...) ورواد العلوم المعرفية بشكل خاص.

^١ - ذكر العزّاوي هذه المستويات في أوراق مخطوطة بخط يده زدنا بها.

^٢ - نفسه.

- ٥ - نظرية الأطر (Frame theory) من روادها فيلمون وهذه النظرية مفادها: أن المعارف مخزنة في الذاكرة بشكل نسقي منظم وعلى شكل أطر دلالية إحصائية، معرفية، وكلمات المعجم في مفاتيح الأطر، وتلتقي نظرية الأطر مع نظريات معرفية أخر قريبة منها مثل نظرية المدونات، ونظرية السيناريوهات، ونظرية الشبكة الدلالية، وغيرها.
- ٦ - النظرية الدلالية الإجرائية (Procedwal Semantics) لصاحبها فيليب دجنسن ليرد وهو أحد كبار علماء النفس المعرفي، وهو أحد رواد العلوم المعرفية، وهي تدافع عن المنظور الإجرائي للمعنى (متأثرة بإنجازات المعلوماتية والذكاء الاصطناعي) وهي ترى أن المعنى يبني بواسطة الاستعمال، وأثناء الاستعمال وأن المعنى بمثابة برنامج معلوماتي.
- ب - التأطير والإشراف: ويتجلى في إشراف العزاوي على بحوث ورسائل جامعية في هذا المجال (بكالوريوس - ماجستير).
- ت - التأليف والترجمة: أنجز العزاوي عددا كبيرا من البحوث والدراسات والترجمات منذ ذلك الوقت، ولكن تأخر نشر كثيرا من الترجمات التي مر عليها حوالي ٣٠ سنة، وهناك بحوث منشورة عديدة حول الفضاء في اللغة ونظرية الأطر، والاستعارة التصويرية وغيرها.

المبحث الأول: جهود العزوي في الاستعارة المعرفية

أولاً: منزلة الاستعارة في اللسانيات المعرفية:

تعد الاستعارة -بحسب العزوي- موضوعاً من موضوعات الدلالة المعرفية^(١)، التي تناولها جورج لاكوف ومارك جونسون في نظرية الاستعارة التصورية^(٢)، إذ تنظر اللسانيات المعرفية إلى موقع الاستعارة على أنه ليس في اللغة على الإطلاق، وإنما في الكيفية التي نمفهم بها مجالاً ذهنياً ما وفقاً لمجال آخر^(٣). فالاستعارة موضوع مركزي لدلالات اللغة الطبيعية^(٤).

يربط أصحاب هذه النظرية التفكير، والتعامل، والسلوك بالاستعارة، وتصورهم لهذا الربط الوثيق مفاده: "أن التصورات التي نتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرف، فهي تتحكم أيضاً في سلوكياتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها، فتصوراتنا تبين ما ندركه، وتبين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، كما تبين كيفية ارتباطنا بالناس، وبهذا يكون للنسق التصوري أثر مركزي في تحديد حقائقنا اليومية، وإذا كان صحيحاً أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه، ذو طبيعة استعارية فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكنا في كل يوم... ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة"^(٥)، وبهذا يولي رواد اللسانيات المعرفية الاستعارة اهتماماً كبيراً وهي تمثل النقطة المركزية التي يرتبط بها كل من التفكير، والتعامل، والسلوك.

ينقل لنا العزوي هذه الأهمية من اطلاعه على أعمال علماء الغرب منهم جورج لاكوف، ومارك جونسون اللذان عنونا كتابهما بـ(الاستعارات التي نحيا بها)^(٦)، فالتصور الجديد للاستعارة يختلف عما كان في السابق، فالاستعارة في ضوء اللسانيات المعرفية أصبح لها مفهوم جديد.

ومن هذا التصور الجديد للاستعارة رأى العزوي أن لاكوف قد أعطى أدوات جديدة للدارسين تمكنهم من دراسة الاستعارة من زاوية جديدة، إذ مكنت اللسانيات المعرفية الدارسين من أدوات ومفاهيم جديدة استطاعوا بها دراسة الاستعارة بشكل آخر وبطريقة مغايرة ومنظور مختلف، فلم يعد ينظر في ضوء هذه الدراسات إلى الاستعارة كونها تتضمن الجانب الجمالي، والزخرف اللفظي، الذي يحسن به الكلام وينمق، فالاستعارة أصبحت ظاهرة تصورية ذهنية لها جوانب مرتبطة بالمعرفة، والإدراك، والذهن، وجوانبها المعرفية والتصورية أهم بكثير من جوانبها الجمالية والتحسينية^(٧).

والاستعارة أيضاً لها جانب تأثيري وإقناعي، أي لها جانب حجاجي. ويعد العزوي العنوان السابق لكتاب لاكوف موفقاً بشكل كبير، وملخصاً فكرة الكتاب ومضمونه بشكل جيد، ووافق العزوي لاكوف ووضع تصوره الخاص النابع من فهمه العميق للربط بين العنوان ومحتوى الكتاب فقال: "بدون الاستعارة لا تفكير ولا تعبير، ولا فهم، ولا إدراك، ولا تواصل،

١ - ظ: اللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجاً): ١/١٠٩.

٢ - ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة، بحث للدكتور أبي بكر العزوي: ٣.

٣ - النظرية المعاصرة للاستعارة، جورج لاكوف، ترجمة طارق النعمان، مكتبة الاسكندرية، مصر، ٢٠١٤: ٧.

٤ - ظ: نفسه: ٨.

٥ - الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاكوف، ومارك جونسون: ٢١.

٦ - ظ: الدكتور أبو بكر العزوي، أو الصورة المغايرة للحجاج اللغوي العربي، حوار مع الدكتور العزوي، حاوره يونس

إمغران في مجلة طنجة الأدبية: ١٣.

٧ - ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٤.

ولا حجاج، ولا تأثير^(١)، وهو يبين القيمة العليا للاستعارة وقوتها التأثيرية، ومن ثمّ تبين النظرية أن جزءا كبيرا من نسقنا التصوري استعاري، واللغة استعارية^(٢)، ويعد رواد اللسانيات المعرفية الاستعارة وسيلة نمارس بها حياتنا^(٣).
ويبين العزاوي هنا الأثر المركزي للاستعارة التي يستعملها المتكلم ليؤثر في المتلقي، وهي بذلك تؤدي إلى فعل إنجازي^(٤).

لقد قدم العزاوي تصوره للاستعارة التصورية التي قدمت أدوات، وأفكارًا، وآليات، ومفاهيم، وتصورات؛ لدراسة الاستعارة وغيرها من أنواع المجازات بشكل يتسم بالجدة، والتطور.

ثانياً: أقسام الاستعارة:

نقل لنا العزاوي تقسيم لايكوف للاستعارة الذي جعلها على قسمين^(٥):

القسم الأول : استعارة اتفافية.

القسم الآخر: استعارة غير اتفافية.

وقسم النوع الأول على ثلاثة أقسام:

أ - الاستعارة البنيوية.

ب - والاستعارة الاتجاهية الفضائية.

ج - الاستعارة الأنطولوجية.

أقسام الاستعارة الاتفافية:

أ - الاستعارة البنيوية: وهو النوع الأول من الاستعارات التصورية الذي وضحه العزاوي في دراسته، وهذا النوع من الاستعارة عند لايكوف يقع ضمن النسقية الاستعارية وهذه "النسقية تسمح لنا بالقبض على مظهر من مظاهر تصور ما عن طريق تصور آخر (أي القبض على مظهر الجدل بوساطة المعركة) ستخفي لا محالة مظاهر أخرى في هذا التصور"^(٦).

واتفق العزاوي مع لايكوف في نقله لنا هذا التصور للاستعارة البنيوية، وعنده تتمثل في بنية (structuration) مجال بألفاظ مجال آخر، مثل: (الحرب جدال)، فقد أعطى للجدال بوساطة الاستعارة بنية الحرب، وعبرنا عنه بألفاظ: الحرب، والاستعارة عند البلاغيين العرب القدماء هي وضع اللفظ في غير موضعه، ومن الأمثلة التي لها صلة _ بحسب رأي العزاوي _ بالاستعارة البنيوية هي^(٧):

١ - نفسه: ٥

٢ - ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٥.

٣ - ظ: الاستعارات التي نحيا بها: ١٢ (مقدمة المترجم).

٤ - ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٥.

٥ - ظ: نفسه: ٥.

٦ - الاستعارات التي نحيا بها: ٢٩.

٧ - البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٥.

_ دافع عن رأيك.

_ هاجم نقطة الضعف عند الخصم.

_ غير استراتيجيات الدفاع والهجوم.

_ استخدم أسلحة جديدة.

_ خرج خاسرا.

_ انتصر عليه انتصارا ميينا.

وهذه الألفاظ كلها "تدرج ضمن الاستعارة البنيوية: (الجدال حرب)، فبنية الجدل هنا هي بنية الحرب، والألفاظ الواردة فيها هي ألفاظ: الحرب، والهجوم، الدفاع الأسلحة، الانتصار، الخسران، نقطة الضعف، المناورات، الخطط، الاستراتيجيات... إلخ"^(١).

فالتصور الاستعاري على نمطين مختلفين من الأشياء: "الجدال (خطاب لغوي)، والحرب (صراع مسلح)، يتطلبان إنجاز نمطين مختلفين من الأفعال، لكن الجدل يبني جزئيا، ويفهم وينجز ويتحدث عنه من خلال الحرب، فالتصور والنشاط العملي مبنيان استعاريان، والنتيجة كذلك"^(٢)، فالعبارات التي تنتمي إلى معجم الحرب "تستعمل بصورة نسقية للحديث عن الجدل عن طريق المعركة وليس من قبيل الصدفة أن تعني هذه العبارة ما تعنيه عندما يتم استعمالها للحديث عن الجدالات. إن جزءا كبيرا من الشبكة التصورية التي تقابل فكرة المعركة ينطبق على فكرة الجدل واللغة تتبع ذلك، وبما أن العبارات الاستعارية في لغتنا ترتبط بالتصورات الاستعارية بكيفية نسقية، فإننا سنستغل العبارات اللغوية الاستعارية لدراسة طبيعة التصورات الاستعارية قصد الوصول إلى فهم الطبيعة الاستعارية لسلوكياتنا"^(٣).

ب - الاستعارة الاتجاهية:

يذهب لايكوف إلى أن هذا النوع من الاستعارة يختلف عن الاستعارة البنيوية الذي مفاده "أن يُبين تصور ما استعاريا بوساطة تصور آخر (أما المفهوم الاستعاري الاتجاهي) فلا يبين فيه تصور ما عن طريق تصور آخر ولكنه على عكس ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعاقبة وسمي هذا النوع بالاستعارات الاتجاهية (orientational metaphors) إذ إن أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال - مستقل، داخل- خارج، أمام - وراء، فوق- تحت، عميق- سطحي، مركزي- هامشي ويرى لايكوف أن منبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه، وكونها تشغل بهذا الشكل الذي تشغل به في محيطنا الفيزيائي، وهذه الاستعارات الاتجاهية تعطي للتصورات توجهها فضائيا، كالتصور الآتي: السعادة فوق، فالتصور للسعادة موجه إلى أعلى هو الذي يبرر تعابير من قبيل: (أحس أنني في القمة اليوم)"^(٤).

١ - نفسه: ٥-٦.

٢ - عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة: ٥.

٣ - الاستعارات التي نحيا بها: ٢٥.

٤ - نفسه: ٣٣.

وهذه الاستعارة الاتجاهية بحسب رأي لايكوف ليست اعتباطية توجد مرتكزاتها في تجربتنا الفيزيائية والثقافية، على الرغم من أن التقابلات الثنائية بين فوق وتحت، أو بين داخل وخارج... إلخ، لها طبيعة فيزيائية فإن الاستعارات الاتجاهية التي تتبنى عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى^(١).
وقد أعطى لايكوف تفسيراً وجيزاً حول كيفية نشوء كل تصور استعاري من تجاربنا الفيزيائية والثقافية، وأراد أن تكون إشارات وأعدة، وواضحة وليست نهائية كالاتي^(٢).

١ - السعادة فوق، والشقاء تحت:

_ لقد رفع من معنوياتي.

_ سقطت معنوياتي.

٢- الوعي فوق، واللاوعي تحت:

_ انهض من نومك.

_ إنه يغط في نوم عميق.

فالمرتكزات الفيزيائية عند لايكوف لهذا التصور: "ينام الإنسان وأغلب الثدييات الأخرى في وضعية تمدد، ويقوم حين يكون مستيقظاً"^(٣).

٣ - الصحة والحياة فوق، والمرض والموت تحت:

_ إنه في قمة العافية.

_ لقد هوى من المرض.

فالمرتكزات الفيزيائية عند لايكوف تقوم على التصور "أن المرض الخطير يجبرنا على التمدد الفيزيائي، وحين نموت نكون فيزيائياً في وضع تحتي"^(٤).

٤ - الهيمنة والقوة فوق، والخضوع والضعف تحت:

_ إنني في قمة السلم.

_ إنه تحت مراقبتي.

المرتكزات الفيزيائية لهذا التصور عند لايكوف: "يرتبط الحجم عادة بالقوة الفيزيائية، والمنتصر في مباراة ما يتبوأ القمة عادة"^(٥).

٥ - الأكثر فوق، والأقل تحت:

_ لم يتوقف عدد الكتب المطبوعة كل سنة عن الارتفاع.

^١ ظ: نفسه: ٣٣.

^٢ - نفسه: ٣٣.

^٣ - الاستعارات التي نحيا بها: ٣٤.

^٤ - نفسه: ٣٤.

^٥ - نفسه: ٣٥.

_ لقد نزلت أرياح هذه السنة.

والمرتكزات الفيزيائية عند لايفوف لهذا التصور: "إذا أضفنا أشياء معينة إلى مجموعة أشياء أخرى، أو صببنا سائلا إضافيا في إناء، فإن علو مجموعة الأشياء يزيد، ومستوى السائل يرتفع"^(١).

٦ - أحداث المستقبل المتوقعة فوق (وفي الأمام):

_ إنني أتطلع إلى غد مشرق.

المرتكزات الفيزيائية لهذا التصور عند لايفوف مفاده "إننا ننظر عادة في الاتجاه الذي نتحرك فيه (أي في الاتجاه الأمام)، وكلما اقترب شيء ما من الفرد (أو اقترب الفرد من الشيء) يبدو الشيء أكبر، وبما أننا نتصور الأرض ثابتة فإن قمة الشيء تبدو متحركة وبما أننا نتصور الأرض ثابتة فإن قمة الشيء تبدو متحركة داخل حقل رؤيتنا تبعا لحركة صاعدة"^(٢). استقى العزراوي فكره من دراسة لايفوف وأعطى تصوره لمفهوم الاستعارة الفضاوية الاتجاهية، ويعنى بهذه الاستعارة أنها تمنح إلى الأشياء، والموضوعات اتجاهات فضاوية مثل: (فوق، تحت، أسفل...) أي تموقعها في الفضاء، و مثل له بالأمثلة الآتية^(٣):

_ معنوياتي مرتفعة.

_ أنا في قمة السعادة.

_ معنوياتي في الحضيض.

_ الفضائل في الأعلى.

_ الرذائل في الأسفل.

_ الحق يعلو ولا يعلى عليه.

_ الطبقات الاجتماعية العليا.

_ التعليم العالي.

ينظر العزراوي إلى هذه الأمثلة بوصفها أمثلة فيها قيم ومفاهيم مجردة، وبالاستعارة أسند إليها اتجاهات فضاوية معينة، إذ وضعت بعض المفاهيم في الأعلى، وبعضها في الأسفل، ومن ثم مسألة تعود في مجملها إلى المعرفة التصويرية الذهنية الإدراكية^(٤) التي تبين وجود انتظام تصوري متناسق مؤسس لجميع تلك العبارات وهو في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية^(٥).

٣ - الاستعارة الأنطولوجية:

هي إحدى أنواع الاستعارات التصويرية عند جورج لايفوف، ووضعها لتكملة مفهوم الاستعارة الاتجاهية التي في بعض الأحيان "لا تكفي لفهم التصورات، فالتجربة مع الأشياء الفيزيائية والمواد تعطي أساسا إضافيا للفهم، وهو أساس قد

١ - الاستعارات التي نحيا بها: ٣٥.

٢ - نفسه: ٣٦.

٣ - ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٦.

٤ - ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٦.

٥ - نساء، و نار، وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن، جورج لايفوف، بحث ضمن كتاب إطلاقات على

النظريات اللسانية والدلالية: ٣٣٣/١.

يتعدى الاتجاه البسيط. إن فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا، ومعالجتها بوصفها كيانات معزولة، أو بوصفها مواد من نوع واحد^(١).

يرى العزاوي في الاستعارة الأنطولوجية تحول المفاهيم المعنوية المجردة إلى كيانات مادة فيزيائية ويصبح لها وجود مادي ملموس، ومثل لها بالأمثلة الآتية:

_ الغلاء يطاردنا.

_ الغلاء وحش رهيب.

_ الخوف يلاحقنا دائما.

_ الفشل لا يفارقنا.

ففي هذه الأمثلة هناك مفاهيم مجردة والموضوعات المعنوية أصبحت ذواتا ملموسة ولها وجود مادي أنطولوجي^(٢).

ومجال الاستعارة الأنطولوجية عند جورج لاكوف في الاستعمال لخدمة حاجات مجال واسع، وقدم لائحة تقدم لنا فكرة عن تنوع الحاجات، ومعها معطيات تمثيلية عن الاستعارات الأنطولوجية التي تخدمها^(٣) منها:

١_ أن نحيلَ مثل:

_ إننا نعملُ من أجل السلام.

٢_ ان نكممَ مثل:

_ يوجد كثير من الحقد في هذا العالم

٣_ أن نُعيّنَ المظاهر:

_ لقد تدهور الجانبُ النفسي في صحته.

٤_ أن نُعيّنَ الأسباب:

_ ثقل مسؤولياته سبب انهياره.

٥_ أن نُحدّدَ الأهدافَ ونحفّزَ الأنشطة:

_ هذا ما يجب أن تقومَ به لتأمين الضمان الصحي.

وهذا ما يميز الاستعارة الأنطولوجية عن الاستعارة الفضائية الاتجاهية عند جورج لاكوف تعدد التعبيرات التي تستعمل لتخدم مجموعة من الحاجات كأن نحيل، أو نكمم.. إلخ مجرد أن نعد شيئا غير فيزيائي كيانا، أو مادة لا يسمح لنا أن نفهم عنه شيئا مهما إلا أنه بالإمكان تطوير الاستعارات الأنطولوجية، وقدم مثالين للتوضيح الكيفية التي يتم بها تطوير الاستعارة كالاتي^(٤):

١- الاستعارات التي نحيا بها: ٤٥:.

٢- ظ: البلاغة العربية والعلوم الجديدة: ٧.

٣- ظ: الاستعارات التي نحيا بها: ٤٦-٤٧.

٤- ظ: نفسه: ٤٧.

١ - الذهن آلة.

_ عقلي غير قادر على الاشتغال.

٢ - الذهن شيء هش.

_ أنا هش جدا.

وأعطى العزّاوي لهذا التعدد في تعابير الاستعارات الأنطولوجية أهمية كبيرة، وقراءة جديدة من منظور الاستعارة التصورية، وجعلته يعبر عن إعادة النظر في ظاهرة الاستعارة بقوله: "إن نظرية الاستعارة التصورية (Métaphore conceptuelle) عند جورج لايكوف، جعلتنا نعيد النظر في ظاهرة الاستعارة (وأيضاً في ظواهر بلاغية كثيرة)، وجعلتنا نقرأ البلاغة من منظور جديد، بل ونعمل على تطويرها وتجديدها بشكل مختلف سواء تعلق الأمر بالبلاغة القديمة: العربية والغربية أم تعلق الأمر بالبلاغة الحديثة المعاصرة، وهناك نظريات معرفية آخر اهتمت بموضوع الاستعارة مثل: نظريات الفضاء الذهنية، ونظرية المزج التصوري، فالاستعارة تعد من الظواهر التي ركزت عليها العلوم المعرفية بشكل عام واللسانيات المعرفية بشكل خاص، ومعلوم أن المواضيع الأثيرة عند رواد هذه العلوم هي الفضاء، والاستعارة، والمقولة، والحركة، والإدراك، والاستدلال، والفهم، والذاكرة، وغيرها ولأهميتها البالغة، ولصلتها بالذهن وكيفية اشتغاله، ولعلاقتها القوية بموضوع المعرفة (Cognition)، فالاستعارة تتدرج ضمن المفاهيم الجواله (Concepts nomads)، وهي حاضرة في كل العلوم والمعارف، وحاضرة في كل الميادين والمجالات المعرفية والعلمية والفكرية، إنها حاضرة في الحياة اليومية، وبها نحيا وبدونها لا عيش ولا حياة"^(١).

ولقد ربط الاستعارة بالفضاء، والزمن، والحركة، وغيرها، من الظواهر المعرفية، وتم إظهار مختلف التفاعلات التي

تقوم بين هذه الظواهر^(٢).

^١ - ظ البلاغة العربية والعلوم الجديدة، بحث للدكتور العزّاوي: ٧.

^٢ - ظ نفسه: ٧.

المبحث الثاني: جهود العزاوي في نظريات الفضاء في اللغة:

أولاً: الفضاء واللغة الطبيعية:

يشير العزاوي إلى انتماء الدراسات الفضاائية إلى الدلالة المعرفية الحديثة، إذ شكلت أحد مباحثها الأساسية^(١). فالفضاء مفهوم مركزي في اللسانيات المعرفية؛ لأثره الكبير في بناء المعنى والتفكير وتمثل العالم حولنا تضافراً مع أثر الجسد في التصور المعرفي والإدراك والتفكير، إذ لم يعد الفكر بناء مجرداً منعزلاً عن الجسد وعن إدراكنا للعالم الخارج، وإنما أصبح الاهتمام اللسانيات المعرفية بالفكر المتجسد^(٢). يقول العزاوي: "تريد، من خلال هذا الموضوع، أن نبين علاقة اللغة بالمعرفة والذهن والتجربة ونبين الجوانب التصورية والمعرفية للنحو"^(٣).

وذكر العزاوي أن هذه الدراسات قد عرفت تطوراً ملحوظاً في أوروبا وأمريكا، وقد أثرت حول العبارات الفضاائية تساؤلات عدة، اهتم العزاوي بالتساؤلات المتعلقة بالفضاء في (اللغة الطبيعية) كونه ميدان اشتغاله الرئيس^(٤).

تتفرع اللغة الطبيعية بألفاظ كثيرة تدل على الاتجاهات أو ما يسمى بـ(الفضاء) والذي ربطه أصحاب نظرية اللسانيات المعرفية بالتصور، والإدراك. ف"الفضاء عبارة عن عالم خارجي تصفه/ تووله العبارات الفضاائية في اللغة والبحث في هذه العبارات يمكننا من الوقوف على تمثالاتها الداخلية لهذا العالم الخارجي كما يسعنا في رصد بنية هذه التمثلات، وفي رسم حدود قدرتها التعبيرية"^(٥).

ويعد رواد اللسانيات المعرفية أن الاتجاهات الفضاائية يسهل تصورها وتحديدها، إذ "إن أول ما نرشحه من التصورات التي تفهم بشكل مباشر هي التصورات الفضاائية البسيطة، مثل: فوق، فالتصور الفضاائي فوق نابع من تجربتنا الفضاائية فنحن نملك أجساداً ونقف منتصبين، وكل حركة نقوم بها تتطلب في الغالب برنامجاً حركياً قد يغير من اتجاهنا فوق-تحت، أو يحافظ عليه أو يقتضيه، أو يأخذ بعين الاعتبار بشكل من الأشكال، فنشاطنا الفيزيائي المستمر في العالم القائم، حتى خلال نومنا، على الاتجاه فوق-تحت الذي ليس وارداً في نشاطنا الفيزيائي فحسب، بل إنه مركزي فيه، ومركزي الاتجاه في برامجنا الحركية، وفي اشتغالنا، وفعلاً اليومي، قد يجعلنا نعتقد أنه لا يمكن أن يوجد ما يعوضه موضوعياً، توجد رغم ذلك أطر ممكنة عديدة في الاتجاه الفضاائي بما في ذلك التناظرات الديكارتيّة (Cartesian) coordiantes التي لا تملك في ذاتها الاتجاه فوق-تحت، فالتصورات الفضاائية البشرية تتضمن بالإضافة إلى الاتجاه

^١ - ظ: الفضاء في اللغة، بحث للدكتور أبي بكر العزاوي: ٦. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجاً): ١/١٠٩.

^٢ - الفضاء وتمثيل البنى والخطاب، أ. د. محمد صالح البوعمراني، مجلة سياقات اللغة والدراسات اللسانية، مجلد/٣، العدد/١، أبريل، ٢٠١٨.

^٣ - لسانيات تشومسكي دراسة نقدية من منظور اللسانيات المعرفية: ١٥. وظ: نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، أوهيبية بوشليق، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد ٣، عدد خاص، ٢٠١٩: ٣٧.

^٤ - ظ: الفضاء في اللغة: ٦. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجاً): ١/١٠٩. ونظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، أوهيبية بوشليق: ٣٧.

^٥ - مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة: ١١٥.

فوق - تحت الاتجاهات أمام - وراء، وداخل - خارج، وقريب - بعيد...إلخ وهذه التصورات هي التي نستخدمها في اشغالنا الجسدي اليومي المستمر، وهذا الاشغال هو الذي يعطي أسبقية لهذه التصورات على بنيات فضائية أخر ممكنة لدينا، وبعبارة أخرى، فإن بنية تصوراتنا الفضائية تنبثق من تجربتنا الفضائية المستمرة، أي من تفاعلنا مع محيطنا الفيزيائي والتصورات التي تنبثق بهذه الكيفية تجعلنا نعيش بالطريقة الأكثر جوهرية^(١). ومن هذا القول يتبين لنا أن هناك علاقة ترابط وتفاعل بين الإدراك والتصور والممارسة الكلامية للاتجاهات الفضائية، فبمجرد ذكر لفظ من ألفاظ الاتجاه ندرك ونتصور الموقع الذي يذكر في أذهاننا.

ثانياً: جهود العزاوي في نظريات الفضاء في اللغة:

قصد العزاوي من عرض نظريات الفضاء في اللغة إلى بيان أي النظريات الفضائية أصلح إجرائياً، وقد عرض ذلك عن طريق تساؤل طرحه، قائلاً: "ما المقاربة التي يمكن أن تعتمد في دراسة الفضاء اللغوي؟ وما المنهج الذي يمكن أن يُقدّم لنا وصفاً أفضل للعبارة الفضائية"^(٢).

وقد قسم العزاوي النظريات التي اهتمت بدراسة الفضاء في اللغة إلى ثلاث نظريات هي^(٣):

١ - المقاربة الوظيفية.

٢ - المقاربة المنطقية الصورية.

٣ - المقاربة الهندسية.

وتقتضي الإشارة إلى أن العزاوي هو أول من أشار إلى تقسيم دراسة الفضاء في اللغة إلى نظريات ثلاث في العالم العربي، إذ اكتفى بعض الدارسين بالحديث عن دراسة الفضاء في اللغة عند الغرب بعرض النظرية الوظيفية في دراسة الفضاء من دون الإشارة إلى النظريات الأخرى، وكأنها النظرية الوحيدة في هذا المجال^(٤).

ولم يقتصر تفرد العزاوي في عرض نظريات الفضاء اللغوي على تقسيمه الثلاثي، بل تفرد أيضاً في نقل نقد العالم البلجيكي فاندلواز للمقاربتين المنطقية والهندسية، وتخلّل في ثنايا نقد المقاربتين المذكورتين الحديث عن المقاربة الوظيفية ضمناً، سوى ما عرضه في بحثه الفضاء في اللغة، إذ أفرد لها موضوعاً صغيراً خاصاً بها.

١: المقاربة الوظيفية:

تطلق المقاربة الوظيفية -كما يرى العزاوي- من ارتباط الفضاء اللغوي "بتصور الإنسان للعالم وبتعبيره عن الأشياء التي تحيط به"^(٥). فعندما نصف موقع شيء ما لغوياً يكون المتكلم مصدر الإحالة الفضائية التي تستند إلى ثلاثة محاور عمودي ومحور أمامي ومحور جانبي لذلك رأى العزاوي ضرورة تبني التحليل الوظيفي للفضاء بالاعتماد على مفاهيم لسانية معرفية ترتبط بالإدراك والمعرفة والعالم وغيرها متبنيًا في ذلك آراء العالم اللغوي كلود فاندلواز في كتابه الفضاء في الفرنسية فيقوم بتحليله على مجموعة من المفاهيم كخط النظر التسرب إلى الإدراك اللقاء المحتمل التوجيه شكل

^١ - الاستعارات التي نحيا بها: ٧٧.

^٢ - الفضاء في اللغة: ٧.

^٣ - ظ: الفضاء في اللغة: ٦. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجاً): ١٠٩/١.

^٤ - ينظر مثلاً على ذلك دراسات الدكتور عبد المجيد جحفة، ومنها: مدخل إلى الدلالة الحديثة: ١١٥.

^٥ - الفضاء في اللغة: ٩. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجاً): ١٢٧/١.

الجسم الإنساني، ويقوم أيضا على مجموعة مفاهيم مثل: ثنائية وعاء/ محتوى، وثنائية مثل: حامل/ محمول^(١). وسيأتي توضيح هذه المصطلحات والمفاهيم من خلال حديث العزاوي عن المقاربتين المنطقية والهندسية.

فباللغة الطبيعية - كما يرى العزاوي نقلا عن فاندلواز - "تستجيب للوصف الوظيفي لعالم متحرك أكثر مما تستجيب للوصف الصوري لعالم سكوني ثابت"^(٢).

٢: جهود العزاوي في المقاربتين المنطقية والصورية والهندسية:

يذكر العزاوي في عودة الريادة النظرية للمقاربتين المنطقية والهندسية إلى كتابات كوبر ١٩٦٨ وليتش ١٩٦٩ وبنيت ١٩٧٥ وكلارك ١٩٧٣ وجورج ميلر ودجنسن^(٣).

وليس المقصود بالعبارة المنطقية أو الهندسية - كما يرى العزاوي - منطقا خاصا بعينه أو هندسة معينة وإنما المقصود المفاهيم الهندسية والمنطقية العامة التي تسخر أدوات فضائية خالصة كالاتجاه، والمسافة، والتضمن وهو وصف موضوعي ومجرد ومستقل عن السياق والمتكلم وعن وظيفة الأشياء الموقعة في الفضاء^(٤).

ومع تسليم العزاوي بأهمية المفاهيم الهندسية والمنطقية في دراسة الفضاء اللغوي إلا أن الاعتماد عليها من دون غيرها في التحليل غير كافٍ ولا يبرز خصائص الفضاء اللغوي ولا يحدد دلالة العبارات الفضائية والظروف المكانية^(٥). لذلك انتقد العزاوي المقاربتين المنطقية والهندسية وموازنتهما بالمقاربة الوظيفية، كما يأتي:

أ- جهود العزاوي في المقاربة المنطقية الصورية:

تحدّث العزاوي عن المقاربة المنطقية الصورية في تحديد الفضاء من خلال نقد الوصف المنطقي للعبارات الفضائية، التي تشتمل عليها اللغات الطبيعية^(٦)، وخاصة العبارة الفضائية "في" أو ما يقابلها في اللغات الأجنبية؛ - كما سنتطرق إليه في المبحث اللاحق -، فقد وجد العزاوي أن اللّغة الطبيعية تعتمد على إمكانيات هائلة، وقد عالج العزاوي مشكل اقتراح بعض اللسانيين الغربيين الذي يذهب إلى تسخير المقاربة المنطقية في تحليل اللغات الطبيعية في كتابه (اللغة والمنطق مدخل نظري)، وبيان بطلانه^(٧).

فالمقاربة المنطقية لا تلبّي طموحات الدراسة الفضائية عند العزاوي؛ لأن اللغات الصورية تتميز بالدقة، والوضوح، وأحادية الدلالة^(٨)، ولا تساهم في إبراز خصائص الفضاء اللغوي، ولا في تحديد دلالة العبارات الفضائية، والظروف

١ - ظ الفضاء في اللغة: ٩. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجا): ١٢٧/١.

٢ - ظ الفضاء في اللغة: ٩. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجا): ١٢٧/١.

٣ - ظ الفضاء في اللغة: ٧. والفضاء في اللغة بين المقاربة المنطقية والمقاربة المعرفية الحرف (في) أنموذجا: ٣.

٤ - ظ الفضاء في اللغة: ٧. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجا): ١١١/١.

٥ - ظ الفضاء في اللغة: ٧. واللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجا): ١١١/١.

٦ - ظ: الفضاء في اللغة بين المقاربة المنطقية والمقاربة المعرفية الحرف (في) أنموذجا: ٣.

٧ - ظ: الفضاء في اللغة بين المقاربة المنطقية والمقاربة المعرفية الحرف (في) أنموذجا: ٤. وكتابه اللغة والمنطق.

٨ - ظ: من المنطق إلى الججاج: ١٧.

المكانية^(١)، وهذا القصور ناتج من أن المفاهيم والمناهج المنطقية تعتمد الوصف المجرد والموضوعي، ونتيجة لذلك يكون الوصف مستقلاً عن المتكلم والسياق، ومستقلاً عن وظيفة الأشياء الموقعة في الفضاء^(٢)، إذ تعتمد اللُّغة الطبيعية - اعتماداً كلياً - في وصف الفضاء اللغوي على المتكلم، والسياق، فمُسَلِّمة السياق من المُسَلِّمات الرئيسة التي تركز عليها اللغات الطبيعية^(٣). والمنطق الذي تسير عليها اللغات الطبيعية هو منطق اللغة، الذي يختلف عن المنطق الصوري الخاص باللغات الاصطناعية والصورية^(٤).

ب- جهود العزوي في المقارنة الهندسية في دراسة الفضاء اللغوي:

أولت الدراسات الهندسية والصورية المفاهيم (البعد، المسافة، والاتجاه) أهمية كبيرة وعدتها من المفاهيم الرئيسة في هذه الدراسات، وهي تعطي وصفاً دقيقاً وموضوعياً في الدراسات الهندسية والرياضية، أما هذه المفاهيم فليس لها الأهمية نفسها في اللُّغة الطبيعية لذلك اعطت اللُّغة الطبيعية لهذه المفاهيم دوراً ثانوياً هامشياً؛ لأنها قاصرة وعاجزة عن وصف الفضاء اللغوي الذي تعبر عنه اللغات البشرية، ولابد من الاعتماد على المفاهيم اللسانية المعرفية الوظيفية التي لها علاقة بالمعرفة والإدراك والحركة مثل: مفهوم التسرب إلى الإدراك، ومفهوم خط النظر، ومفهوم الحركة، والوضع الجسدي للمتكلم، وكون المتكلم مركز الإحالة الفضائية، وخصائص الموضوعات في الواقع الخارجي^(٥)، وهذا ما وضحه العزوي في دراسته لهذه المفاهيم الثلاثة الآتية:

ب.١. البعد (La dimension):

وأراد أن يضعف المقارنة الهندسية وعدم الاكتفاء بها في وصف اللغة الطبيعية، من خلال وصفه لبعض الأدوات في اللغة الطبيعية، فقد بين اختلاف (البعد) لبعض الأدوات في اللغات الطبيعية، من حيث إن (البعد) للحروف يختلف من حرف إلى آخر وهناك تمييز بين الحرف ذي البعد الواحد (unidimensionnel) مثل: الحرف (at) في اللغة الإنجليزية، والحرف (á) في اللغة الفرنسية، وبين الحرف الثنائي مثل (على/ فوق) في العربية و"on" في الإنجليزية، و"sur" في الفرنسية، والحرف الثلاثي الذي له ثلاثة أبعاد (الطول والعرض والارتفاع)، ويجده العزوي ممثلاً بـ"في" في العربية و"in"، و"dans" في كل من الإنجليزية والفرنسية ووجد العزوي هذا التحليل عند كلارك (H.H.Clark) في دراسته (الفضاء، والزمن، والدلالة، والطفل) المنشورة سنة (١٩٧٣) التي تعد نقطة انطلاق لدراسة العلاقة بين الفضاء واللغة^(٦).

ولم يتفق العزوي مع كلارك، فقد ذهب إلى أن رأيه فيه نظر؛ لأن كل حرف من الحروف الأحادية والثنائية والثلاثية أي (in,on,at) بالنسبة للغة الإنجليزية، أو ما يقابلها في اللغات الطبيعية الأخر يمكن أن يستعمل استعمالاً عديدة، أي إن الحرف الواحد قد يكون أحادي البعد، أو ثنائي البعد، أو ثلاثي البعد، ووجد العزوي ما يستدل به في الأمثلة الآتية:

١ - ظ: اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجاً): ١/١١١.

٢ - ظ: نفسه: ١/١١١.

٣ - ظ: نفسه: ١/١١١.

٤ - ظ: الفضاء في اللغة بين المقارنة المنطقية والمقارنة المعرفية الحرف (في) أنموذجاً: ٥.

٥ - ظ: لسانيات تشومسكي دراسة نقدية من منظور اللسانيات المعرفية: ٧.

٦ - ظ: اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجاً): ١/١١٢-١١٣.

_ الراهب في الصف.

_ البقرة في المرعى.

_ الحلي في الصندوق.

يقول العزاوي: "الموضوعات الحرفية الواردة في هذه الأمثلة (الصف، المرعى، الصندوق) مختلفة من حيث أبعادها، مع أن الحرف المستعمل فيها هو نفس الحرف "في"، فالموضوع الحرفي في الجملة الأولى (أي الصف) أحادي البعد، وفي الجملة الثانية (أي المرعى) ثنائي، وفي الجملة الثالثة (أي الصندوق) ثلاثي الأبعاد. وإذن التقسيم الذي اقترحه كلارك بين الحروف والذي يقوم على مفهوم البعدية (La dimensionnalité) غير صحيح وغير ملائم ولا يصف لنا بدقة استعمال الحروف والأدوات والعبارات الفضائية، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن مفهوم البعد (La dimension) مفهوم ثانوي وهامشي ولا يفيدنا كثيرا في وصف الفضاء اللغوي"^(١).

من هذا النص يتبين لنا أن العزاوي يؤمن بأن مفهوم البعد لا يصلح في وصف اللغة الطبيعية وحدد قيمته الثانوية وأبعده عن المركزية في الوصف.

ب. ٢. المسافة (Distance) في اللُّغة الطبيعية:

يعد مفهوم المسافة من المفاهيم الرئيسة للمناهج الهندسية، والرياضية، وبنماز بالدقة والموضوعية في تحديد الهدف بالنسبة للمصدر، ويقاس بشكل محدد، وموضوعي، ومجرد بالمتر والكيلومتر، وهذا يتطلب الدقة بشكل مجرد عن ذات المتكلم، وهذا يستلزم ذكر الهدف

(cible La) أي الشيء الذي نريد تحديد موقعه في الفضاء والمصدر (La site) أي الشيء الذي يساعدنا ونعتمد عليه لتحديد موقع الهدف^(٢) بشكل ضروري فمن الصعوبة أن نلغي أحد طرفي العلاقة الفضائية في المناهج الهندسية، والرياضية، والمنطقية.

أما في اللُّغة الطبيعية فالأمر مختلف جدا فمفهوم المسافة مفهوم ثانوي فيها، "فقد يذكر فيها المصدر وقد لا يذكر والشائع ألا يذكر والاكتفاء بذكر الهدف الذي نبحت عنه وتحديد موقعه داخل الفضاء الذي نوجد فيه، ويمكن أن يذكر المصدر أحيانا فنقول: (المسجد قريب من هنا)، ولكن هذا نادر ما يحصل، والشائع هو الاكتفاء بذكر الهدف"^(٣). وقد يذكر المصدر في اللُّغة الطبيعية ولا يذكر الهدف.

والأمر الثاني "أن المسافة في اللُّغة الطبيعية لم تحدد بشكل موضوعي ودقيق ومجرد وإذا لم تكن المسافة محددة بشكل مجرد وموضوعي، فمعنى هذا أنها محددة بشكل تقريبي ونسبي وذاتي ويرى العزاوي أن الوصف الأخير مهم جدا لأن تحديد المسافة يكون ذاتيا لا موضوعيا أي إن تحديد المسافة ينطلق من ذات المتكلم"^(٤) وهذا يعني أن ذات المتكلم تغنينا عن ذكر المصدر لأنه أصبح أحد طرفي العلاقة الفضائية عند العزاوي وهو كثير في النصوص القرآنية والشعر العربي.

١ - نفسه: ١/١١٣.

٢ - ظ: لسانيات تشومسكي دراسة نقدية من منظور اللسانيات المعرفية: ٧.

٣ - اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة أنموذجا): ١/١١٥.

٤ - نفسه: ١/١١٥.

ويرى العزّاوي أن وصف الفضاء في اللّغة الطبيعية "يكون المتكلم فيه -غالبا- مصدر الإحالة، وتحديد المسافة يكون من منظوره الشخصي وموقعه الفضائي، وبالنظر إلى إمكاناته الجسدية والمادية والاجتماعية. وعليه فإن التحديد يكون ذاتيا، وقياس المسافة يكون هو الآخر ذاتيا وتقريبيا، ولا يكون موضوعيا مجردا ومن هنا فإن مفهوم المسافة مفهوم ثانوي وهامشي"^(١) ومصدر الإحالة قد يكون الغائب، أو المخاطب.

ويشير إلى أن فاندلواز يشير إلى الحالة السابقة، وينقل قوله: "إن المتكلم غالبا ما يكون هو مصدر الإحالة أي هو المصدر (Le site)، وهذا أول مفهوم أساس من مفاهيم المقاربة اللسانية المعرفية التي ينبغي أن تعتمد في دراسة الفضاء في اللغات الطبيعية، فالبنية العميقة للمثال السابق (إذا جاز لنا أن نستعمل هذا المصطلح الذي ينتمي إلى الشبكة الاصطلاحية للنحو التوليدي التحويلي) هي ما يمكن التعبير عنها بجملة من قبيل: (المسجد قريب مني، أي من المتكلم)، أو (المسجد قريب من هنا)، أي من الموقع الذي يوجد فيه المتكلم والمخاطب. فالمصدر هو ذات المتكلم، أو موقعه، وهو مصدر ذاتي غير موضوعي، والإجابات التي يقدمها المجيب للسائل عديدة ومتنوعة، كما أشار إلى ذلك فاندلوا"^(٢)، ويعطينا العزّاوي بعض الإجابات منها:

_ المسجد قريب.

_ المسجد قريب من هنا.

_ المسجد قريب بالقياس إلى المكان الذي توجد فيه.

يرى العزّاوي أن هناك فروقا بارزة بين هذه الجمل، "ففي الجملة الأولى يذكر المصدر، والتحديد هنا ذاتي بشكل كبير، فالمتكلم هو مركز الإحالة وهو المصدر الذي يحدد الهدف، والمثال الثاني أقل ذاتية من الجملة الأولى، فقد اشتمل على عبارة إشارية إحالية، وهي المتمثلة في ظرف المكان (هنا)، ولكن المتكلم يظل هو المصدر في هذه الجملة أيضا والعبارة الإشارية، أو ظرف المتكلم تحيل إلى موقع المتكلم، والمثال الثالث أقل ذاتية من المثالين السابقين، ويكون التعبير أكثر ذاتية كلما كان بسيطا ومختصرا، أما إذا كان طويلا ومعقدا، كما هو الشأن بالنسبة للجملة الأخيرة فإن الذاتية تقل"^(٣). فالذاتية تكون أكثر مركزية وفاعلية إذا كانت الجملة مختصرة، وتقل الذاتية بطول الجملة وتعقيدها.

وتقتضي الإشارة إلى رايلايكوف في "أننا نمتلك معرفة واسعة بالمجالات المصدر، والطريقة الثانية التي يمكن من خلالها للاستعارة التصورية أن تكون منتجة هي قدرتها على نقل تفاصيل تلك المعرفة من المجال المصدر إلى المجال الهدف، وسنطلق على مثل هذه الانتقالات بالاستلزمات الاستعارية"^(٤). ومفهوم الاستلزام الاستعاري يساعد على نقل التصور من المصدر إلى الهدف، لكي يكون أكثر وضوحا في تصوراتنا.

ويذهب العزّاوي إلى أن القرب في الأمثلة السابقة لا يحدد بشكل موضوعي، أي القياس بوحدات قياس المسافة كالمتراً، أو الكيلو متر، وإنما يتم تحديده بشكل ذاتي، فالقرب المقصود هنا هو القرب من المتكلم، أو من موقعه، أي من المكان الذي يوجد فيه، والمتكلم هنا هو المصدر، وهو مركز الإحالة ويرسم لنا العزّاوي العلاقة الفضائية بالشكل الآتي:

المتكلم - المسجد.

^١ - نفسه: ١١٨/١.

^٢ اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة نموذجا): ١١٥-١١٦.

^٣ - نفسه: ١١٦/١.

^٤ - إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية، تتسويق: ٣٣٨/١.

وتتجلى الذاتية عنده في أن المتكلم أصبح أحد طرفي العلاقة الفضائية، والقرب المذكور في الجمل السابقة، وخاصة في المثال الأول هو من منظور متكلم بعينه وبياناته، متكلم يتموقع في زمان ومكان محددين، وفي سياق محدد، فالمسجد قريب من هذا المتكلم، أو قريب من موقعه ومكانه، ليس قريبا بشكل مطلق، أو قريبا بشكل موضوعي ومجرد^(١).

ويورد أمثلة أخرى، كي يوضح مفهوم المسافة في اللُّغة الطبيعية منها:

- الرباط بعيدة.

- باريس قريبة.

إذ يفترض أن منتج الجملة الأولى غير منتج الجملة الثانية، ويفترض أيضا أن المنتجين لهذه الجمل هم أشخاص مغاربة. والسؤال الذي يعرضه العزاوي هو كالاتي:

كيف تكون الرباط بعيدة وهي مدينة مغربية؟ وكيف تكون باريس قريبة وهي توجد في بلد آخر؟ ولو اعتمد مفهوم المسافة الذي يعد مفهوما هندسيا، وقيست المسافة بشكل موضوعي ومجرد، لوجد أن باريس هي الأبعد، وأن الرباط هي الأقرب، ولو افترض أن المتكلم الذي أنتج الجملة الأولى يسكن في بني ملال، فكيف تكون الرباط بعيدة بالنسبة إليه والمسافة تقريبا ٢٧٠ كلم ولو افترض أيضا أن منتج الجملة الثانية يسكن في الرباط، أو البيضاء مع ذلك يقول: إن باريس قريبة^(٢).

ويجيب العزاوي عن هذا السؤال والإشكال الذي عرضه بما يأتي:

تحديد الفضاء في اللُّغة مختلف كل الاختلاف عن وصف الفضاء في اللُّغة الطبيعية يكون ذاتيا، ويعتمد على ذات المتكلم، وإدراكه، ووضعه الجسدي، وموقعه الفضائي، ووضعه الاجتماعي، وإمكاناته المادية، وخصائص الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، وغير ذلك^(٣).

ويبين العزاوي أن المتكلم هو مركز الإحالة وهو المصدر بالنسبة لعملية الموقعة الفضائية، لذلك يختلف عن وصف الفضاء في الهندسة، فهو مجرد، وموضوعي، ومستقل عن كل شيء، وتحديد القرب، أو البعد يكون بقياس المسافة بشكل موضوعي^(٤) وتستخدم فيه وحدات قياس الطول.

ويعود العزاوي إلى توضيح المثاليين السابقين لكي يبين الأثر المادي في قياس المسافة، ويقول: "إذا كان المتكلم ثريا، وميسور الحال فإنه سيقول إن باريس قريبة؛ لأنه سيركب الطائرة، وسيصل إلى هذه المدينة في غضون ساعتين، فباريس قريبة من منظور هذا المتكلم، أي متكلم بعينه وذاته وليست قريبة من جميع المتكلمين، ومتكلم آخر إذا كان معوزا وفقيرا، ولا يتوفر على الإمكانيات المادية والمالية اللازمة فإن الرباط بعيدة بالنسبة إليه، ولا مجال بتاتا للحديث عن الذهاب إلى باريس، وقد يكون هذان الشخصان موجودين في مكان واحد، وفي نقطة واحدة"^(٥).

^١ - ظ: اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجا): ١١٦/١-١١٧.

^٢ - ظ: نفسه: ١١٧/١.

^٣ - ظ: نفسه: ١١٧/١.

^٤ - ظ: نفسه: ١١٧/١.

^٥ - اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجا): ١١٨/١.

قد بين العزّاي الأثر المادي في قياس المسافة والوسيلة التي تقرب المسافة بالقياس إلى شخص آخر غير متمكن ماديا ويستقل وسيلة نقل أخرى.

وتتدخل الإمكانات الذاتية عند العزّاي في قياس الفضاء، فقد وازن بين قولي شخصين يقول أحدهما: إن الرباط قريبة، ويقول الآخر: إن الرباط بعيدة، فهي قريبة من منظور هذا المتكلم وبالنظر إلى إمكاناته الذاتية، وبعيدة من منظور المتكلم الآخر، وبالنظر إلى قدراته وإمكاناته. الفضاء اللغوي غير الفضاء الهندسي والقرب اللغوي غير القرب الهندسي^(١).

ويستخلص العزّاي من هذا ما يأتي:

عندما يتعلق الأمر بوصف الفضاء في اللّغة، فإن المتكلم غالبا - إن لم نقل دائما - يكون مصدر الإحالة، وتحديد المسافة يكون من منظوره الشخصي موقعه الفضائي، وبالنظر إلى إمكاناته الجسدية والمادية والاجتماعية، وعليه فإن التحديد يكون ذاتيا، وقياس المسافة يكون هو الآخر ذاتيا وتقريبيا، ولا يكون بتاتا موضوعيا ومجردا، ومن هنا فإن مفهوم السافة مفهوم ثانوي هامشي^(٢).

والأمر الآخر الذي بينه العزّاي للفرق بين الفضاء اللغوي والفضاء الهندسي هو خصائص الأشياء في الواقع الخارجي.

أخذ العزّاي مثالين يمثل بهما عن قرب المسافة، أو بعدهما وهما:

_ الثعلب قريب من الأرنب.

_ الثعلب قريب من الدجاجة.

ففي المثالين السابقين استعمل عبارة (قريب من) في الجملتين معاً، وهذا يعني أن المسافة قريبة بين الثعلب والأرنب في المثال الأول وقريبة أيضا بين الثعلب والدجاجة في المثال الثاني، وأن الأمر يتعلق بالمسافة نفسها، أو يتعلق بمسافات متقاربة، ويعني أن المسافات قصيرة؛ لأن المثالين يتحدثان عن القرب بين الهدف والمصدر فهل هذا صحيح؟

ويجب العزّاي بالنفي ويعلل ذلك لو كان الأمر يتعلق بالهندسة، وقلنا: إن "أ" قريب من "ب"، وقريب كذلك من "ج" لوجب أن تكون المسافة قصيرة بين "أ" و "ب" من جهة وقصيرة بين "أ" و "ج" من جهة ثانية، ولوجب أن تكون هذه المسافة متماثلة، أو على الأقل متقاربة فلا يمكن أن يكون الفرق كبيرا بين المثالين الأول والثاني^(٣).

ويعد الأمر مختلفا؛ لأنه "متعلق بالفضاء اللغوي والفرق كبير بين المثالين، والقرب في المثال الأول غير القرب في المثال الثاني، وهذا راجع إلى معرفتنا بخصائص الأشياء التي نريد تحديد موقعها، ووصف الفضاء في اللّغة له ارتباط بالمتكلم والإدراك ومعرفة العالم ومعرفة الأشياء، وخصائصها، ووضع الجسم وغير ذلك، فخصائص الثعلب ليست هي خصائص الدجاجة، الثعلب سريع، والدجاجة بطيئة، والأرنب أيضا سريع^(٤).

^١-ظ: نفسه: ١/١١٨.

^٢-ظ: نفسه: ١/١١٨.

^٣ - ظ: اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجا): ١/١١٩.

^٤ - نفسه: ١/١١٩.

ويوضح العزاوي خاصية القرب بين المثالين، فهناك خاصية مشتركة بين الثعلب والأرنب وهي السرعة، فلو قلنا: "الثعلب قريب من الأرنب) لوجب أن تكون المسافة متراً، أو مترين، أو ثلاثة أمتار، وإلا كانت المسافة بعيدة؛ لأن الأرنب حيوان سريع، ولن يستطيع الثعلب الإمساك به، والقرب والبعد هنا يحدده سهولة الإمساك بالفريسة أو صعوبته، ولا تحده المسافة الهندسية الموضوعية، أما المثال الآخر، فقد تكون المسافة الحقيقية بعيدة، ومع ذلك تقول: إن الثعلب قريب من الدجاجة؛ لأنه سيصل إليها في وقت وجيز ويمسك بها، فقد تكون في أعلى الجبل وهو في السفح، ومع ذلك فهي قريبة منه بمجرد أن يراها؛ لأنه سريع وهي بطيئة بمجرد رؤيته له تكون في متناوله، والذي يحدد المسافة هنا خصائص الأشياء والموضوعات الموجودة في العالم، ومعرفتنا بها بسهولة الامتلاك، وسهولة الوصول، أو صعوبته وهذا هو الذي يحدد القرب والبعد"^(١).

وهذا أحد الفروق التي بينها العزاوي بين المسافة الفضائية والمسافة الهندسية بخصائص الأشياء فمسافة القرب أو البعد تدرك بوساطة معرفتنا خصائص الأشياء كما بينها العزاوي منها خصيصة السرعة للشيء.

خصائص الهدف والمصدر:

قبل أن نبين خصائص الهدف والمصدر علينا أن نعرف ما الهدف وما المصدر؟

بين طالبي عملية التصور العامة للهدف أو ما يسميه الشكل، والمصدر، أو ما يسميه الخلفية في اللغة.

الشكل(الهدف) عند طالبي "كيان متحرك، قابل متصوريا للحركة ويقع تصوّر مساره، وموقعه واتجاهه بمثابة المتغيّر الذي تمثّل قيمته الخاصة مسألة مفيدة ضمن هذه القضية"^(٢).

والخلفية(المصدر) عنده "كيان مرجعي ذو محل قار من حيث علاقته بإطار مرجعي يتحدّد بالنسبة إليه مسار الشكل، ومحلّه، أو اتجاهه"^(٣)، والهدف هو ما نسميه (النقطة الدالة).

يرى العزاوي أن الهدف والمصدر في اللغات الطبيعية يختلفان عنه في الهندسة، ففي هذا الأخير يعدان موضوعين فارغين، أو رمزين من رموز المنطق والرياضيات، ولا فرق بينهما من حيث الخصائص والسمات، وكل رمز يصلح أن يكون هدفاً، أو مصدراً، لكن نجد الأمر مختلفاً في اللّغة الطبيعية، ومرد هذا إلى اختلاف الموضوعات في العالم الطبيعي، واختلاف سماتها وخصائصها، الموضوعات في اللّغة الطبيعية والواقع مملوءة وليست فارغة"^(٤).

وذكر العزاوي أن هناك اختلافاً كبيراً بين خصائص الهدف وخصائص المصدر، ويشير إلى بعضهما في ما

يأتي:

١ - الهدف صغير والمصدر كبير.

ويوضح العزاوي هذا الاختلاف من خلال الأمثلة الآتية:

١- اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجاً): ١/١١٩.

٢- الشكل والخلفية في اللّغة بحث في إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية لليونارطالبي ترجمة د. عبد العزيز

المسعودي: ١/٤٢١

٣- نفسه: ١/٤٢٢.

٤- اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجاً): ١/١٢٠.

_ أين الإبرة؟

_ الإبرة قريبة من الكرسي.

_ أين المسجد؟

_ المسجد وراء العمارة الكبيرة.

نلاحظ أن الهدف في المثالين السابقين هو الإبرة في المثال الأول، والمسجد في المثال الآخر صغير بالمقارنة مع المصدر المذكور في الجملة الأولى وهو الكرسي، والعمارة في الجملة الأخرى، ولأن الهدف صغير لا ندركه، فيتم تحديد موقعه بالاعتماد على المصدر الذي هو أكبر حجماً ويسهل تمييزه، ومن الطبيعي - وهذا بحسب المنطق الطبيعي - أن نعتمد على الموضوع الكبير لتحديد موقع الموضوع الصغير، وليس العكس، فالشيء الصغير والدقيق هو الذي يصعب إدراكه وتمييزه، وهو الذي نريد تحديد مكانه وموقعه^(١).

ويشير العزّاي إلى أن الأمر لو كان معكوساً وكان الهدف أصغر من المصدر سيكون الكلام غير مستقيم ولاحن

وأخذ المثال الآتي:

_ أين المسجد؟

_ المسجد وراء العصا.

هذه الجملة عدها العزّاي غير سليمة وغير مستقيمة؛ لأن المصدر وهو العصا في هذه الجملة أصغر من الهدف الذي هو المسجد، والعصا لا يمكن أن تخفي المسجد بحيث يتعذر إدراكه وتمييزه. العصا في هذا السياق هي التي قد يمتنع علينا إدراكها ورؤيتها، وهي التي سنبحث عنها وليس العكس ويكفي أن نغير ترتيب الموضوعات في هذا المثال ليصبح الوضع مستقيماً والأمر طبيعياً^(٢)، وهذه الجملة بحسب طالمي غير صحيحة والسبب لا بد أن يكون لأحد العناصر درجة كبيرة من الخصوصية^(٣) وبمقتضاه يكون الهدف مدركاً، فيكون المثال بتوجيه العزّاي على الشكل الآتي:

_ أين العصا؟

_ العصا وراء المسجد.

وهذه الجملة مقبولة، فالمسجد قد يخفي، وتصبح رؤيتها ممتنعة، ولا بد من مصدر بارز وكبير لتحديد موقعها^(٤).

ب - المصدر معروف ومُدرك والهدف غير معروف وغير مدرك، ويعتمد هنا على المدرك والمعروف لتحديد موقع الهدف الذي هو غير مدرك، والأمثلة السابقة توضح هذا بشكل كبير، فالإبرة عنصر صغير ودقيق، ومن الصعب إدراكه وتحديد موقعه، وستكون الإبرة هدفاً في كل الجمل وكل السياقات أما المسجد، فقد يكون هدفاً وقد يكون مصدراً في سياق آخر، ففي جملة من قبيل:

_ أين الكرسي؟

_ الكرسي وراء المسجد.

١ - ظ: اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجاً: ١/١٢١).

٢ - نفسه: ١/١٢٢.

٣ - ظ: الشكل والخلفية في اللّغة: ١/٤٢٨.

٤ - اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجاً: ١/١٢٢).

فالسباق هو الذي يحدد، وهو الفيصل في مثل هذه الحالات، "فالمسجد في هذه الجملة هو الأكبر وهو المدرك، وهو الذي سيكون مصدرا في هذه العلاقات الفضائية وهو الذي سيساعدنا على تحديد موقع الهدف (أي الكرسي)"^(١).
ت_ الهدف متحرك والمصدر ثابت.

يعد رواد اللسانيات المعرفية منهم طالبي أن الشكل (الهدف) كيان متحرك، والخلفية (المصدر)، كيان مرجعي ذو محل قار^(٢).

وهذا ما أكده العزاوي الذي يذهب إلى أن الشيء الذي نبحث عنه ولا ندركه، أو يصعب إدراكه يكون متحركا، فهو ينتقل من مكان إلى مكان، وهنا لابد من التمييز بين واقعين، فقد يكون الهدف هو من يقوم بفعل الحركة بذاته، وينطبق على الذات المتحركة من طيور وحيوانات صغيرة وحشرات وغيرها، وقد يكون الهدف غير متحرك بذاته، ولكنه ينتقل من مكان إلى مكان آخر لسبب من الأسباب ويمثل لها العزاوي بالمثالين الآتيين^(٣):

_ أين القلم؟

_ القلم فوق المكتب.

_ أين البيغاء؟

_ البيغاء في المطبخ.

فالهدف في المثال الأول غير متحرك بذاته، قد يوضع فوق المكتب، أو على الحصير، أو في المحفظة، أما الهدف في المثال الآخر وهو طائر البيغاء، فهو يتحرك من تلقاء ذاته، وينتقل من مكان إلى مكان، أما المصدر فقد يكون ثابتا بشكل دائم (المسجد، الشجرة، المنزل...) وقد يكون ثابتا بشكل مؤقت (السيارة مثلا) في جملة من قبيل: (المفاتيح في السيارة)^(٤).

فالمصدر عند رواد هذه النظرية يستعمل بمثابة شيء مرجعي يخصص بوساطته محل الشيء الآخر (الهدف) بصفة متبادلة يفهم محل الشيء الآخر بمثابة المتغير (واقعا وعلى هذا النحو وفي السياق المذكور (الدراجة قرب المنزل) بالذات، طالما أن الدراجة ستكون في محلات مختلفة خلال مناسبات مختلفة) الذي يعد قيمته الخاصة مسألة مفيدة^(٥).

ويؤكد العزاوي مما سبق أن الهدف يكون صغيرا، ومتحركا وغير معروف ولا مدرك والمصدر يكون كبيرا ومدركا وثابتا، وفي الموقعة الفضائية ننطلق من الكبير والمدرك والثابت لتحديد موقع العنصر والمتحرك وغير المدرك^(٦).

ويرى الباحث أن الهدف قد يكون ثابتا وغير متحرك أحيانا كقولنا :

^١ - نفسه: ١/١٢٢.

^٢ - ظ: الشكل والخلفية في اللّغة / ٤٢١-٤٢٢.

^٣ - ظ: اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجا): ١/١٢٢.

^٤ - نفسه: ١/١٢٢.

^٥ - ظ: الشكل والخلفية في اللّغة بحث في إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية لليونارطالومي ترجمة د. عبد العزيز

المسعودي: ١/٤٢٥.

^٦ - ظ: اللّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللّغة انموذجا): ١/١٢٣.

_ أين بيتك؟

_ بيتي وراء المدرسة.

نلاحظ أن الهدف لا يشترط أن يكون متحرك فقد يكون ثابتا.

ويمكن أن يكون المصدر ثابت بشكل مؤقت والهدف غير مستقر في حالات قليلة والفوارق بين الشكل (الهدف) والخلفية (المصدر) عند طالبي يوضحها الجدول الآتي^(١):

الخصائص التعريفية	الشكل (الهدف)	الخلفية(المصدر)
	ذو خصائص فضائية أو زمانية غير معروفة	تعمل بمثابة كيان مرجعي ذي خصائص معروفة يمكن أن تعرف
الخصائص المصاحبة	أكثر قابلية للتحريك	أقرب إلى الاستقرار
	أصغر	أكبر
	أبسط هندسيا(في الغالب شبيهه بالنقطة) من حيث معالجته	أكثر تشعبا هندسيا من حيث معالجته
	أحدث على الوركح/في الإدراك	مألوف أكثر/ متوقع أكثر
	أكثر أهمية /إفادة	أقل أهمية/إفادة
	أقل قابلية للإدراك المباشر	أكثر قابلية للإدراك المباشر
	أكثر بروزا إذا ما تم إدراكه	أكثر خلفية إذا ما تم إدراك الشكل
	أكثر تبعية	أكثر استقلالية

وأثبت العزّاوي أن مفهوم المسافة مفهوم ثانوي وهامشي وغير كاف ولا يسعف كثيرا بخصوص وصف الفضاء في اللُّغة الطبيعية^(٢).

ب. ٣. الاتجاه (La direction) في اللغة الطبيعية:

وينقل العزّاوي إلى مفهوم جديد في وصف الموقعة الفضائية في اللُّغة الطبيعية بعد أن بين أن مفهوم المسافة مفهوم ثانوي هامشي، ويريد أن يبين أثر مفهوم الاتجاه وأهميته في اللُّغة الطبيعية بالاتكاء على بعض المفاهيم التي لها علاقة بهذا المفهوم.

ذكر العزّاوي سابقا أن المتكلم هو مصدر الإحالة في عملية الموقعة الفضائية، ويريد أن يقف على أمر آخر، وهو الوضع الجسدي للمتكلم، وهو إدراكه وخط نظره، وهو له علاقة وثيقة بمسألة تحديد الاتجاه^(٣).

ويشير العزّاوي إلى أن دراسة الاتجاه في الهندسة والرياضيات يحدد بشكل موضوعي، ومجرد، فعند استعمال العبارات الفضائية(أمام، خلف، قدام، وراء...) لتحديد الاتجاه في الفضاء، فإن هذا سيتم بشكل مجرد، فإذا قلنا: إن "أ" أمام

^١ - ظ: الشكل والخلفية في اللُّغة: ٤٢٧/١.

^٢ - ظ: اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجا): ١٢٣/١.

^٣ - ظ: نفسه: ١٢٣/١.

"ب"، فمعنى هذا أن "ب" يوجد خلف "أ" والعلاقة تناظرية (Symétrique) بينهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تحديد الاتجاه يكون مستقلا عن المتكلم والسياق والموضوعات المراد موقعتها فضائيا^(١)، وهذه العلاقة المتناظرة عند رواد هذه النظرية تنتمي إلى الحد الأدنى من المسافة بين الشئيين، فهي متطابقة من حيث المفهوم الهندسي، ولا يعني أن لهما المعنى نفسه في اللُّغة الطبيعية^(٢).

ويجد أن الأمر مختلف في تحديد الاتجاه الفضائي في اللُّغة الطبيعية، فتحديد الاتجاه هنا يكون ذاتيا، وبالنظر إلى الوضع الجسدي للمتكلم، وبالنظر إلى ما يدركه ويراه التسرب إلى الإدراك (La perception l'accès á) وخط النظر (La ligne du regard) هما المفهومان المحددان للاتجاهات الفضائية (الأمام، الخلف، الوراء...) وليس مفهوم الاتجاه بمعناه الهندسي، فما أراه وأدركه فهو أمامي، والذي لا أراه ولا أدركه، فهو خلفي وورائي، والذي يوجد فوق فهو كذلك؛ لأنني أراه وأدركه والذي تحت فهو كذلك لأنني لا أراه ولا أدركه، فمفهوم (التسرب إلى الإدراك) هو مفهوم لساني، معرفي، وظيفي، هو المفهوم الأساس، والمركزي بالنسبة لوصف الفضاء في اللُّغة الطبيعية، وهو الذي يحدد الاتجاه (أمام، خلف، وراء...)، وليس المفهوم الهندسي^(٣).

وقدم العزاوي توضيحا لطلابه في مادة (الدلالة المعرفية) وهو كالاتي:

"أنتم أمامي؛ لأنني أنظر إليكم، وأنا أمامكم؛ لأنكم تنظرون إلي فكلانا ناظر ومنظور، فإذا استدرت على اليمين؛ فأنتم شمالي، وإذا استدرت على الشمال فأنتم يميني، وإذا استدرت بشكل كامل، فأنتم ورائي؛ لأنني لم أعد أراكم، ولأنكم لا تتسربون إلى إدراكي ونظري، ولكني أظل في كل هذه الحالات، أمامكم، لأنكم تنظرون إلي، وتدركوني إدراكا بصريا، فالذي يحدد الأمام والخلف والوراء هو خط النظر والتسرب إلى الإدراك"^(٤).

ثم يشير العزاوي إلى دراسة الاتجاه من منظور هندسي وبيّن رؤيته له، فيقول: "لو درسنا هذه المسألة هندسيا لقلت: إذا كنت أمامكم فأنتم خلفي، وإذا كنت خلفكم فأنتم أمامي، ولا علاقة لتحديد الاتجاه بمسألة الإدراك، أو بمسألة الوضع الجسدي للمتكلم، وهذا أيضا فرق كبير، وفرق جوهري و أساسي بين وصف الفضاء في الهندسة، ووصف الفضاء في اللُّغة الطبيعية، وهناك أمر آخر؛ فإذا كنت أمامي من الناحية الهندسية والموضوعية، وكان هناك حاجز (جدار، أو غيره) يحول دون رؤيتك وإدراكك، فأنت في الوراء: أنت أمامي هندسيا وواقعا لكنك ورائي لغويا وإدراكيا"^(٥).

وقد استطاع العزاوي عن طريق عن هذه النظرية تفسير قوله تعالى: "نبي نبي من بني يريم" [الكهف: ٧٩] بنفس الطريقة، يقول العزاوي: "المفسرون كلهم كانوا يقولون إن وراءهم بمعنى أمامهم، ولكنهم لا يبينون السبب: لماذا استعمل القرآن الكريم (وراء) في الآية، ولم يستعمل كلمة (أمام)، ففسرت هذه الآية على الشكل الآتي: لما كان الملك أمامهم، وكانوا لا يدركونه، عمل الذي في الأمام معاملة الذي في الوراء، بجامع عدم الإدراك، وبعبارة أخرى، فإذا كان في الأمام

١- ظ: اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجا): ١/ ١٢٣ - ١٢٤.

٢- ظ: الشكل والخلفية في اللُّغة بحث في إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية لليونارطالمي: ١/ ٤٢٤.

٣- اللُّغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللُّغة انموذجا): ١/ ١٢٤.

٤- نفسه: ١/ ١٢٤.

٥- ظ: نفسه: ١/ ١٢٤-١٢٥.

لا يدرك، فهو كالذي في الورا، ووجه الشبه بينهما ونقطة الاشتراك، هي عدم الرؤية وعدم الإدراك، وهذا هو السر في استعمال القرآن الكريم لكلمة وراء في هذه الآية، فهم لا يدركون الملك، ولا يعرفون أنه أمامهم، وأنه يأخذ كل سفينة غصبا، إذن فهو كالذي في الورا؛ لأن الذي يوجد في الورا لا يرى ولا يدرك إذن فعدم الرؤية وعدم الإدراك هو الذي سوغ استعمال كلمة (وراء) في هذا السياق، وعدم الإدراك وعدم المعرفة هو الذي سوغ استعمال كلمة (وراء) في هذا السياق، وعدم الإدراك كعدم المعرفة وقد اجتمع كل هذا في الآية المذكورة آنفا^(١).

وعزز العزوي وصف الفضاء في اللغة الطبيعية بأمتلة تبين قصور المقاربة الهندسية ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

_ الحمامة أمام الطفل.

_ الطفل أمام الحمامة.

يرى العزوي أن الجملتين مقبولتان من منظور هندسي محض، لكن الجملة الأولى في الواقع هي الجملة السليمة والعادية، أما الجملة الأخرى فهي غير مقبولة في الاستعمال اللغوي، فمفهوم خط النظر هو الذي أجاز لنا استعمال جملة (الحمامة أمام الطفل)، فالطفل يعد هو الناظر، والمنظور هو الحمامة، وهو نفس الذي يجعل استعمال الجملة الأخرى (الطفل أمام الحمامة) ممتعا، ولا يمكن قبوله إلا بصعوبة بالغة وفي سياقات مصطنعة^(٢)، وهذا النوع من الجمل -بحسب طالبي- لا تقبل الانعكاس^(٣).

ويعطي العزوي أمثلة أكثر لزيادة الإيضاح والتفصيل في ما يأتي:

_ الطائر أمام الوزير.

_ الشبكة أمام السرطان.

مفهوم الاتجاه في العبارتين مرتبط بالأداة، أو الظرف المكاني (أمام)، ويرى العزوي أن مفهوم الاتجاه في الجملة الأولى محايد، ومفهوم خط النظر يحدد الاتجاه والوزير هو الناظر، والمنظور هو الطائر، وهذا المفهوم هو الذي يبرر اختيار واستعمال العبارة الفضائية (أمام) في هذا المثال، أما في الجملة الثانية فإن الذي يحدد الاتجاه ليس هو خط النظر، وإنما هو اتجاه الحركة، فالشبكة موضوعة أمام السرطان، وهذا الأخير يتحرك نحوها ويسير باتجاهها^(٤).

ويستنتج العزوي من المثالين السابقين أن الذي يحدد الاتجاه هو خط النظر في المثال الأول، واتجاه الحركة في المثال الآخر، و يبين أن مفهوم الاتجاه يعد مفهوما هندسيا غير صالح، أو غير كاف، وهو مفهوم ثانوي لا يفيد كثيرا في وصف الفضاء في اللغة الطبيعية^(٥).

مما سبق وضح العزوي قصور المفاهيم الهندسية (المسافة، البعد، الاتجاه) ووحدها لا تعطي الدقة الكافية للوصف الفضائي، وهو بذلك يعد أثرها ثانويا هامشيا.

الخاتمة

^١ - ظ: نفسه ١٢٤/١-١٢٥.

^٢ - اللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة أنموذجا): ١/١٢٥.

^٣ - ظ: الشكل والخلفية في اللغة بحث في إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية لليونارطالبي: ١/٤١٨.

^٤ - ظ: اللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة أنموذجا): ١/١٢٥.

^٥ - ظ: نفسه: ١/١٢٦.

خلصنا في هذا البحث إلى جملة نتائج نحملها بما يأتي:

- تمثلت جهود أبي بكر العزاوي في دراسة الاستعارة المعرفية بتوصيف آراء لايكوف وجونسون وتبنيه لآرائهما من خلال تبنيه مقولة (الاستعارات التي نحيا بها) وتمثله لهذه المقولة بقوله: (بدون الاستعارة لا تفكير ولا تعبير، ولا فهم، ولا إدراك، ولا تواصل، ولا حجاج، ولا تأثير)، زيادة على تبنيه تقسيماتهما للاستعارة.
- دعا العزاوي إلى قراءة البلاغة من منظور جديد، والعمل على تطويرها وتجديدها بشكل مختلف سواء تعلق الأمر بالبلاغة القديمة: العربية والغربية أم تعلق الأمر بالبلاغة الحديثة المعاصرة من خلال استلهاهم نظريات الاستعارة المعرفية والفضاء في اللغة.
- يعد العزاوي اللساني العربي الوحيد بحسب اطلاعنا- الذي قسم دراسة الفضاء في اللغة عند الغرب إلى نظريات ثلاث. بخلاف ما هو شائع عند الدراسين العرب بوجود نظرية وحيدة للفضاءات اللغوية.
- يعد العزاوي اللساني العربي الوحيد أيضا بحسب اطلاعنا- الذي تحدّث عن نظريات الفضاء اللغوي الثلاث وبيان أن المقاربة الوظيفية هي المقاربة الفضلى في دراسة الفضاء في اللغة. وأن النظريتين الهندسية والمنطقية مقاربتان قاصرتان في تحليل الفضاء اللغوي من دون شراكة المقاربة الوظيفية معهما في الدراسة.
- عرض الدكتور أبو بكر العزاوي لآراء اللساني فاندلواز صاحب النظرية الوظيفية في دراسة الفضاء اللغوي، بشكل موجز مع نماذج تحليلية لنصوص وأمثلة عربية.

المصادر

- _ الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف، ومارك جونسون، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر.
- _ البلاغة العربية والعلوم الجديدة سؤال القراءة، وسؤال التجديد بحث للدكتور أبي بكر العزاوي مقبول للنشر في مجلة فصول.
- _ الدكتور العزاوي، أو الصورة المغايرة للحجاج اللغوي العربي: حوار يوسف إمبران منشور في مجلة طنجة الأدبية: العدد (٥٦).
- _ الشكل والخلفية في اللغة بحث في إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية لليونارطالمي
- _ عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، د. غسان إبراهيم الشمري، جامعة طيبة، كلية الآداب، ينبع - السعودية.
- _ الفضاء في اللغة، بحث للدكتور العزاوي منشور في مجلة المشكاة، العدد ٢٥، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- _ الفضاء في اللغة بين المقاربة المنطقية والمقاربة المعرفية (الحرف "في" أنموذجا، بحث للدكتور أبي بكر العزاوي، منشور في كتاب المناهج اللسانية والنقدية بين التنظير والإجراء، بحوث مختارة من محور قسم اللغة العربية في المؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية الآداب بجامعة بابل الموسوم بـ(العلوم الإنسانية ومسارات المعرفة) للمدة ١٧-١٨/٤/٢٠١٩، تنسيق د. حيدر غضبان، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠٢٠.
- _ الفضاء وتمثيل البنى والخطاب، أ. د. محمد صالح البوعمراني، مجلة سياقات اللغة والدراسات البيئية، مجلد/٣، العدد/١، أبريل، ٢٠١٨.
- _ الكليات الاستعارية لماساكوفيلار، د. أبو بكر العزاوي، بحث منشور في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد ٢- ١٩٨٧.

- _ لسانيات تشومسكي: دراسة نقدية من منظور اللسانيات المعرفية بحث للدكتور أبي بكر العزّاوي منشور ضمن كتاب (لسانيات تشومسكي مراجعة نقدية في الأسس المعرفية) تحرير، يوسف إسكندر ومؤيد آل صوينت، دار دجلة للتأليف والنشر والترجمة، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٩.
- _ اللغة العربية والدلالة المعرفية (الفضاء في اللغة نموذجاً)، بحث للدكتور أبي بكر العزّاوي منشور ضمن كتاب (اللسانيات العربية رؤى وآفاق)، تنسيق د. حيدر غضبان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩.
- _ اللغة والمنطق، (مدخل نظري)، د. أبو بكر العزّاوي، مطبعة طوب بريس الرباط، ٢٠١٤.
- _ مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٠.
- _ من المنطق إلى الحجاج، د. أبو بكر العزّاوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط١، ٢٠١٦.
- _ نساء، ونار، وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن، جورج لاكوف، بحث ضمن كتاب إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية.
- _ نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، أ.وهيبة بوشليق، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد ٣، عدد خاص، ٢٠١٩.
- _ النظرية المعاصرة للاستعارة، جورج ليكوف، ترجمة طارق النعمان، مكتبة الاسكندرية، مصر، ٢٠١٤.
- الحوارات:
- _ حوار مع الدكتور العزّاوي في شبكة التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) بتاريخ ٨/٥/٢٠١٩.
- وآخر في في ١٤/٨/٢٠١٩.